انزل عن الصليب

لقد تلقى المسيح وهو معلق على عود الصليب دعوتين من مجموعتين مختلفتين من الناس ولكنهما كانتا تحملان نفس المضمون. الدعوة الأولى أتت إليه أولاً من المجتازين: "إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب" (مت٢٧: ٤٠). أما الدعوة الثانية فجاءت "كذلك" من رؤساء الكهنة "أيضاً" مع الكتبة والشيوخ: "إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به" (مت٢٧: ٤٢). إن استعمال الوحي المقدس كلمتي "كذلك" و"أيضاً" ليس بغير قصد. إنه يريد التأكيد على أن دعوة ا المسيح للتخلي عن الصليب أتت من مصدرين مختلفين: المجتازين، ورؤساء الكهنة. والأمر المشترك بين المجموعتين هو تغليف هذه الدعوة بالاستهزاء والتحدي. أما موضوع التحدي فكان مختلفاً. الأول كان بخصوص بنوته لله، والثاني بخصوص كونه ملكاً لإسرائيل.

والإنسان المسيحي السائر على درب الآلام وراء مسيحه حاملاً صليبه كل لحظة بكل أمانة وإخلاص لابد وأن يتعرض لتلك التجربة مثلما تعرض لها المسيح وهو معلق على عود الصليب. "انزل عن الصليب" هي صوت الإنسان العتيق داخلنا مقاوماً الباب الضيق. "انزل عن الصليب" هي حركة الجسد المتمرد على الروح. "انزل عن الصليب" هو شعار الذات التي تريد التحرر من نير الوصية. "انزل عن الصليب" هو صوت العالم الذي يدعونا إلى الباب الواسع. "انزل عن الصليب" هي دعوة عدو الخير ذاته للتخلي عن الجهاد والكفر بالألم. "انزل عن الصليب" هي دعوة أقرب المقربين مثل شريك الحياة، الأبناء، الأهل، أو الإخوة للتخلي عن الكمال المسيحي الذي يرضي الرب كما فعلت زوجة أيوب التي قالت له: "أنت متمسك بعد بكمالك" (أي٢: ٩)، وكما فعل أقرباء يسوع معه عندما "خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل" (مر٣: ٢١).

على الجانب الآخر قيل عن عسكر الوالي: "ثم جلسوا يحرسونه هناك" (مت٢٧: ٣٦). فإن كان المجتازون ورؤساء الكهنة قد دعوا المسيح للنزول عن الصليب، إلا أن الوالي كلف عسكره بحراسة المصلوب لئلا ينزل عن صليبه. الله في محبته يعلم ضعف الإنسان ويعرف جيداً أن قبوله للألم هو عمل يفوق طبيعته الساقطة. بالتالي يدبر الله حياة أولاده بطريقة تجعلهم "مسمرين" على الصليب بحيث لا ينزلون عنه، ويوظف "عسكر الوالي" لكي يضمن بقاء أبنائه على الصليب لكيلا يفسدوا خطة خلاصهم ويفقدوا الملكوت كما هو مكتوب: "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن

يقبله" (عب١٢:٦). وعسكر الوالي هم الأمراض، والحوادث، وكوارث الطبيعة، والحروب وما إلى ذلك من أمور يضطر الإنسان للخضوع لها بدون إرادته لكنها تصير له ضماناً لدخول الملكوت إن قبلها بشكر.

والآن ونحن نحتفل بعيد الصليب نشكر الله من كل قلوبنا على "عسكر الوالي" الموجودين بعنايته الإلهية في حياتنا يحرسون صليبنا، ونتوسل إلى الروح القدس أن يجعلنا نصم آذاننا عن حرب "انزل عن الصليب" لكي إذا ما تسلحنا بنية الألم نكف عن الخطية ونصبح مؤهلين لمعاينة ملكوته.